مقدمة:

تهتم وحدة "سميولوجيا الصورة" بدمج مصطلح السميولوجيا: علم العلامات: البحث عن المعاني الظاهرة والباطنة للعلامة مهما كانت لفظية أو غير لفظية، مع مصطلح "الصورة" كظاهرة سميولوجية قابلة للتحليل والتأويل. والغاية من إدراج هذا المقياس في مجال علوم الإعلام والاتصال، كون الصورة جزء لا يتجزأ من الظاهرة الإعلامية، بل هي عضو حيوي وفعّال فيها. فالإعلام هو نقل الحدث الذي هو في حقيقته عبارة عن "صورة" أو مجموعة من الصور، سواء كانت ذهنية أو حقيقية، نقترب من مفهوم سميولوجيا الصورة في مجال علوم الإعلام والاتصال الذي يعتبر مجالا خصبا للدراسات الخاصة بها. كالصورة الصحفية الثابتة والمتحركة، الصورة الإشهارية، الصورة الكاريكاتيرية، الصورة التلفزيونية، والسينمائية، الصورة المسرحية... الخ.

فلا يجب أن نمر على الصورة مرور الكرام أثناء تعرضنا لها، بل يجب استغلالها من أجل إنتاج معاني عميقة غير واردة في المادة الصحفية التي رافقتها.

وإنتاج المعنى من الصورة لا يأتي من العدم، بل يجب توفر بعض الشروط لدى قارئها، منها ضرورة امتلاك زاد ثقافي مسبق حول موضوع الصورة، كذا توفر منهجية معينة يتبعها أثناء التحليل.

وبما أن هذه المحاضرات موجهة أساسا لطلبة السنة الثانية ماستر تخصص سمعي بصري، حاولنا أن نحصر المجال في دراسة بعض أشكال الصورة الخاصة بالتخصص، كالصورة التلفزيونية، والصورة السينمائية، والاقتراب من المقاربة السميولوجية للصورة السمعية البصرية بشكل خاص.

ومن أهداف تدريس هذا المقياس هو التعرّف على مفهوم الصورة سميولوجيا، وأنواعها وخصائصها، وكيفية تحليلها من خلال ما توصل إليه الباحثون في هذا المجال أمثال "رولان بارث"، "مارتين جولي" و "دي سوسير" وغيرهم ممن أسسوا لهذا العلم، وفرّعوا له، وجعلوه علمًا مستقلاً رغم كل الصعوبات التي يتعرض لها الباحث أثناء عملية التحليل السميولوجي لبعض الظاهر، خاصة فيما يتعلق بتبعية "علم

السميولوجيا" لعلوم أخرى كالمنطق والفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع والأنتروبولوجيا...

ومثلما أكد أنصار "الاتجاه الثقافي" أن كل العادات والتقاليد والأعراف والسلوكات والمكتسبات التي تشكل ثقافتها هي بمثابة "علامات" قابلة للتأويل والتحليل، فالمادة السمعية البصرية التي نتعرض لها في وسائل الإعلام، كالإشهار، والصورة المتحركة، والفيلم السينمائي، تحتاج منّا أن ننظر إليها بمنظار السميولوجي المحلّل، الناقد، الذي يستخدم هذا العلم للكشف عن خبايا وأسرار غير ظاهرة للعيان في الرسالة البصرية، في شكل مغامرة شيقة تجمع بين صرامة المنهج العلمي، وحتمية الذوق الشخصي، والانطباع الذاتي.

ماهية الصورة وعلاقتها باللّغة

المحاضرة رقم 1:

1. تعريف الصورة:

لقد ورد العديد من التعريفات للصورة نذكر منها كما جاءت في قاموس (Robert):

- هي كل ما نشاهده على شاشة التلفزيون والسينما، وجهاز الحاسوب، مما يقدمه من أشياء؛
- تمثيل شيئا بواسطة الرسم، أو التصوير الضوئي؛
- كل ما يظهر على مرآة، أو سطح عاكس؛
- رؤية كبيرة أو صغيرة لحقيقة لدينا عن شخص، أو شيء نا (ذكرى)؛
- وتذهب "مارتين جولي" إلى أن الصورة وسيلة تعبيرية واتصالية تربطنا بتقاليدنا القديمة والغنية بثقافتنا؛
- ويرى "دي شامب" "F. De Champs": أن الصورة هي علامة أو نظام من العلامات[1]؛
- يعرّفها أبراهام مولس: الصورة هي عامل من عوامل الاتصال البصري، وهي تجسد لنا جزء من محيطنا الذي نبصره. والصورة هي إحدى الدعائم الأساسية في وسائل الإعلام الجماهيرية (الفوتوغرافيا، التصوير، النحت، السينما، التلفزيون)، وعالم الصورة ينقسم إلى صور ثابتة وصور متحركة[2].
- تعرف الصورة بأنها كل تقليد تمثيلي مجسد أو بصري معاد، وهي معطى حسي للعضو البصري حسب (Fulchignoni) أي إدراكا مباشرا للعالم الخارجي في مظهره المضيء[3].

---

(1) إبراهيم محمد سليمان، **مدخل إلى سميائية الصورة**، المجلة الجامعية، العدد 16، ليبيا، 2014، ص ص-166 165.

(2) Abraham Moles, Elisabeth Rohmer, **l'image : communication fonctionnelle**, éd., Casterman, France, 1981, p20.

(3) قدوري عبد الله ثاني، **سميائية الصورة، مغامرة سميائية في أشهر الإرساليات البصرية في العالم**، مؤسسة الوراق للنشر، الأردن، 2008، ص ص24-25.

♦ **تعريف الصورة حسب "بارث":**

هي خطاب تناظري أي خطاب بشكل متتالية غير قابلة للتقطيع، وتحمل الصورة مستويين: التعيين والتضمين: التعيين هو قراءة أجزاء الصورة، التضمين هو ما تحمله الصورة من معاني.

بمعنى أن قراءة الصورة ليس جردًا لدوالها التقريرية، بل يجب البحث عن المدلولات الإيحائية للوصول إلى النسق الإيديولوجي الذي يتحكم في هذا النوع من العلامات، وهذا ما يسميه بارث "الأسطورة".

♦ **تعريف الصورة حسب "دومنيك ولتن":**

الصورة كائن سمنطيقي يقوم أساسا على علاقة التشابه والتماثل، أو التناظر، علاقة يرتبط فيها الدّال اللّغوي بالمدلول، ارتباطا اعتباطيا، ويشار فيها إلى الشيء بالمشابهة.

♦ **التعريف الإجرائي للصورة:**

الصورة بمفهومها السميولوجي الذي يهمنا في هذا المقياس: هي تلك الصورة الثابتة أو المتحركة، أو الرقمية، التي ترافق المادة الإعلامية، أو تأتي منفصلة عنها (كالصورة الكاريكاتيرية)، والتي لا يمكن الاستغناء عنها أثناء تقديم المحتوى الإعلامي، وذلك لما تتميز به من قوة، ودقة، وقدرة عالية على التأثير، ويدخل في هذا الإطار؛ الصورة الصحفية، الصورة الإشهارية، الصورة السينمائية، الصورة التلفزيونية... الخ.

2. العلاقة بين الصورة واللّغة:

إن العلاقة بين الصورة واللّغة قديمة، وإن كان للصورة السبق على اللّغة إلاّ أنّ طبيعة العلاقة بينهما لا تزال غامضة حتى الآن، فهي علاقة متذبذبة تصل أحيانا إلى حدّ التنافر والتعارض. وقد يراها البعض علاقة أحادية يحتاج فيها طرف إلى الطرف الآخر دون حاجة الطرف الآخر له.

ولعلّ التقاطع بين ما هو أيقوني وما هو لساني بوصفهما يشكلان معا علامة، هو ما جعل أغلب الدراسات اللسانية والسميائية في بداية القرن العشرين تخلط بين الحقلين، وتدرسها في إطار شامل هو اللّغة وبالتالي تغفل الفوارق النوعية بين التعبير الأيقوني، والتعبير اللساني، ومن ثمة، فإن أول خطوة منهجية تقود إلى تحديد الصورة الفوتوغرافية وتعين أنماط اشتغال المعنى داخلها، تتمثل في ذلك التمييز الذي جاء به "اميل بنفنست" في معرض حديثه عن الأنظمة السميائية التي تحمل دلالة وهي هنا اللّسان، والأنظمة السميائية التي لا تدل وهي التي تتحقق في الموسيقى والرقص وأشكال التعبير البصري.

ويمكن أن نكشف عن طبيعة العلاقة بين الصورة واللّغة من خلال نقاط عديدة أهمها:

أ. الاعتباطية والمماثلة:

إن الباحث في مجال الوقائع غير اللسانية يكتشف أنها ليست بالبساطة التي يتميز بها اللسان، فالرموز، والقرائن والأيقونات علامات لها وضع خاص داخل سجل اللّغات الإنسانية، فهي من جهة ليست اعتباطية بالمفهوم الذي يعطيه دي سوسير للاعتباطية، وهي من جهة ثانية ليس معلّلة بالمعنى الذي يجعل منها حاملا للدلالة خارج سياق الممارسة الإنسانية، وهذا يؤكد ضرورة تعميق البحث ضمن الأنساق غير اللّسانية والبصرية خاصة.

واهتم كريستيان ميتز "C. Metz" من جهته بخاصية المماثلة ضمن تصنيفاته الخاصة بالصورة السينمائية، وخاصة في مقاله المعنون "ما بعد المماثلة" لكن تصوره جاء رافضا لآراء "بيرس" حول كون المماثلة أهم خاصية تتميز بها الصورة، فصحيح أن في رأي "ميتز" أنّ ما يميّز الصورة البصرية عن باقي الأنظمة الدالة ومنها اللّغة هو حالتها "التماثلية" أو "أيقونيتها" أي شبهها الحسي العام للموضوع الذي تمثله. غير أن الصورة ليست تماثلية سوى في شكلها العام، وهي إضافة إلى ذلك، تحتوي على مجموعة من العلاقات الاعتباطية بموضوعها، فلا يجب أن نغلق الصورة على

نفسها وفي استقلال عن باقي الأنظمة الدّالة نتيجة خاصية المماثلة التي ليست سوى جزء من مكوناتها العامة[٤].

ب. التمفصل المزجوج والكلية:

يمكن على صعيد آخر رصد نوع من الاختلاف بين النسق اللّغوي والنسق البصري (الصورة)، فإذا سلمنا بأن اللسان يشتمل على تمفصل مزدوج: " Double articulation" بموجبه تنفصل العلامة اللسانية إلى عناصر التمفصل الأول، وهي الوحدات الدّالة (المونيمات)، وعناصر التمفصل الثاني وهي الوحدات الدنيا غير الدالة أو الوحدات المميّزة (الفونيمات)، فإن الحديث عن هذا التمفصل المزدوج داخل العلامة الأيقونية يعد أمرًا صعبا، كما ذهب إلى ذلك "أمبرتوايكو" أو مأزقا في منظور "مارتين جولي".

ومن هنا يمكن القول أن الصورة الفوتوغرافية تشتغل وفق وحدة تامة تقدم نفسها على شكل كلية "Totalité"، فمجموع العناصر المشكلة للعلامة الأيقونية تفرض على المتلقي تصورها بوصفها وحدة شاملة يصعب التقديم أو التأخير في نظامها المتجانس.

ج. الخطية والتزامن:

إذا كانت دوال اللسان تتخذ في الرسالة طابعًا خطيًا (lineaire) بحيث تدرك حسب نظام تحدده بنية الجملة، فإن دوال الشفرة الأيقونية تنتشر في فضاء الصورة، بحيث أن إدراك عنصر من عناصرها لا يتم قبل العناصر الأخرى ضرورة، ومن ثمة، فإن الرسائل اللقطية تظل سجينة قواعد النحو، والتداول خلافا للخطاب البصري الذي لا يخضع لقواعد تركيبية صارمة، إضافة إلى أن عناصره تدرك بشكل متزامن.

د. التعايش بين الصورة واللّغة:

إن التعايش بين الصورة واللّغة قديم وضارب في عمق التاريخ، فمنذ ظهور الكتابة والكتاب، وقع تلازم بين الصورة والنص، وصار الارتباط بين النص والصورة

---

(٤) محمد عرافي، **قراءة في السميولوجيا البصرية**، مجلة عالم الفكر، العدد 1، 2002، ص ص226-227.

عاديًا. وقد تعززت هذه العلاقة بتطور أشكال التواصل الجماهيري بحيث أصبح من النادر مصادفة صورة (ثابتة أو متحركة) غير مصحوبة بالتعليق اللّغوي (سواء كان مكتوبا أو شفهيا).

يذهب "بارث" إلى أنّ النص اللغوي الذي يحضر إلى جوار الصورة يلعب إحدى الوظيفتين التاليتين:

أ. **وظيفة الترسيخ (Ancrage)**: ذلك أن الصورة تتسم بالتعدد الدلالي أي أنها تقدم للمشاهد عددًا كبيرًا من المدلولات لا ينتقي إلاّ بعضها، ويهمل البعض الآخر، ومن ثمة فإن النص اللفظي يوجه إدراك المتلقي نحو قراءة الصورة بحيث لا تتجاوز حدودًا معينة في التأويل، فالنص اللّغوي إذن يمارس سلطة على الصورة مادام يتحكم في قراءتها، وأكثر ما تشيع هذه الوظيفة في الصورة الثابتة، كالصورة الفوتوغرافية الصحفية والملصقات الإشهارية... الخ.

ب. **وظيفة التدعيم (Relais)**: وتكون حين يقوم النص اللّغوي بإضافة دلالات جديدة للصورة بحيث أن مدلولاتها تتكامل وتتصهر في إطار وحدة أكبر (في الشريط السينمائي مثلا)، ويقل تواجد هذه الوظيفة في الصور الثابتة ولكنها تشيع في الصور المتحركة، كالفيلم السينمائي والتلفزي والرسوم المتحركة... الخ.

وقد تتجاوز الوظيفتان وتتعايشان في الملفوظ الواحد، عدا أن هيمنة إحداهما على الأخرى لا تعدم الدلالة: فطغيان التدعيم على الترسيخ معناه أن المتلقي ملزم بمعرفة اللسان لإدراك فحوى الرسالة، في حين أن طغيان الترسيخ معناه أن الملفوظ قائم على الحشو، وأنّ جهل المتلقي باللّغة قد لا يحرمه من استيعاب دلالة الصورة[٥].

---

(٥) محمد العماري، **الصورة واللغة، مقاربة سميوطيقية**، على الرابطة: www.aljabriabed.net.